

أضواء البيان

@ 48 @ قَرَيْنُ { يقول : أئنك لمن المصدقين ، إلى قوله تعالى : { فَاطَّالَعَ
فَرَّاءَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتَتَرْدِينَ * وَلَوْلَا
نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ } . ! 7 . ! 7
معنى هذه الآية الكريمة ظاهر ، وهو أن نبيَّنا صلى الله عليه وسلم شكَا إلى ربِّه هجر قومه
، وهم كفَّار قريش لهذا القراءان العظيم ، أي : تركهم لتصديقه ، والعمل به ، وهذه شكوى
عظيمة ، وفيها أعظم تخويف لمن هجر هذا القراءان العظيم ، فلم يعمل بما فيه من الحلال
والحرام والآداب والمكارم ، ولم يعتقد ما فيه من العقائد ، ويعتبر بما فيه من الزواجر
والقصص والأمثال . .

واعلم أن السبكي قال إنه استنبط من هذه الآية الكريمة من سورة (الفرقان) مسألة
أصولية ، وهي أن الكف عن الفعل فعل . والمراد بالكف الترك ، قال في طبقاته : لقد وقفت
على ثلاثة أدلَّة تدلُّ على أن الكفَّ فعل لم أرَ أحدًا عثر عليها . .

أحدها : قوله تعالى : { وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ * رَبِّ إِنِّي قَوْمِي
اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا } ، فإن الأخذ التناول والمهجور المتروك ،
فصار المعنى تناولوه متروكًا ، أي : فعلوا تركه ، انتهى محل الغرض منه بواسطة نقل صاحب
(نشر البنود ، شرح مراقي السعود) ، في الكلام على قوله : أحدها : قوله تعالى : {
وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ * رَبِّ إِنِّي قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ
مَهْجُورًا } ، فإن الأخذ التناول والمهجور المتروك ، فصار المعنى تناولوه متروكًا ، أي
: فعلوا تركه ، انتهى محل الغرض منه بواسطة نقل صاحب (نشر البنود ، شرح مراقي السعود
(، في الكلام على قوله : % (فكفَّنا بالنهي مطلوب النبي % قال مقيده عفا الله عنه
وغفر له : استنباط السبكي من هذه الآية أن الكفَّ فعل وتفسيره لها بما يدلُّ على ذلك ، لم

يظهر لي كل الظهور ، ولكن هذا المعنى الذي زعم أن هذه الآية الكريمة دلَّت عليه ، وهو
كون الكفَّ فعلاً دلَّت عليه آيتان كريمتان من سورة (المائدة) ، دلالة واضحة لا لبس فيها
، ولا نزاع . فعلى تقدير صحة ما فهمه السبكي من آية (الفرقان) هذه ، فإنه قد بيَّنته
بإيضاح الآيتان المذكورتان من سورة (المائدة) . أمَّا الأولى منهما ، فهي قوله تعالى :

{ وَلَوْلَا يَنْذِرُهُمُ الرَّبُّ بَٰئِنِ الْيُؤُونَ وَالْآخِيارُ عَنْ قَوْلِهِمْ الْإِثْمَ

وَأَكَلِهِمْ السُّحُوتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَمْنَعُونَ } (5 / 36) ، فترك

الربانيين والأخبار نهيمهم عن قول الإثم وأكل السحت سمَّاه الله جلَّ وعلا في هذه الآية

الكريمة منعاً في قوله : { لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَمْشِعُونَ } ، أي : وهو تركهم
النهي المذكور ، والصنع أخص من مطلق الفعل ، فصراحة